مراجعة كتاب

مراجعة كتاب

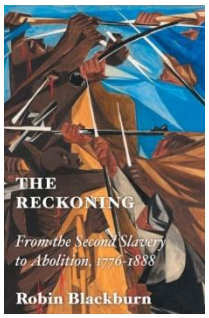

روبن بلاكبيرن*: تصفية الحساب: من العبودية الثانية إلى الإلغاء، 1776-1888

المراجع: كريس بامبري**

ترجمة: مصباح كمال***

روبن بلاكبيرن: تصفية الحساب: من العبودية الثانية إلى الإلغاء، 1776-1888، دار النشر: فيرسو، 2024، 544 صفحة.

Robin Blackburn, *The Reckoning: From the Second Slavery to Abolition, 1776-1888* (Verso 2024), 544pp.

في مجلده الخامس والأخير، **تصفية الحساب: من العبودية الثانية إلى الإلغاء، 1776-1888**، في سلسلته التي ترسم تاريخ العبودية في العالم الحديث، يحّول روبن بلاكبيرن انتباهه إلى العبودية الثانية[1] Second Slavery، ونظام المزارع plantation في الولايات المتحدة حيث تقوم الولايات المتحدة وكوبا والبرازيل بزراعة القطن والسكر

[1] تطورت "العبودية الأولى" في أواخر العصر الإقطاعي وأوائل نشوء العالم الحديث في الفترة من 1520 إلى 1800، حيث كانت الرأسمالية في مهدها، وارتبطت بأنظمة العبودية الكولونيالية التي طورتها إسبانيا والبرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا، وانتهت بموجات من التمرد وإلغاء العبودية بين عامي 1791 و1848.

أما "العبودية الثانية" وخاصة في جنوب الولايات المتحدة، البرازيل وكوبا فقد نشأت في الأعوام 1800-1860 في خضم عملية تصنيع واسعة النطاق و"تراكم بدائي" ممتد. لكن التصنيع ونشأة الحداثة لم يعني تلقائيًا نهاية العبودية، بل بالأحرى تكثيفها وانتشارها. وكانت النتيجة قيام عبودية جديدة في الأميركتين وإعادة صياغتها وتنظيمها لصالح رأس المال والإمبراطورية. (المترجم. منقول بتصرف من الموسوعة الحرة)

مراجعة كتاب

والقهوة لتلبية احتياجات أوروبا الغربية والولايات الشمالية من الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت هذه المزارع مرتبطة بصناعات المنطقتين أيضًا، وليس أقلها مصانع القطن في لانكشاير [انجلترا]، وتم تمويلها من قبل بنوكها، التي كانت سعيدة بقبول العبيد كضمان collateral للحصول على قروض للمزارعين. وهكذا لم يصبح العبيد مجرد أموال منقولة عاملة chattel، بل أصبحوا أيضًا ممتلكات واستثمارات.

مع استخدام العبيد كضمان، كان بإمكان مالكي العبيد توسيع مزارعهم، أو شراء أراضٍ جديدة مفتوحة في مكان آخر، عن طريق استخدامها للحصول على قروض عقارية أو قروض أخرى. يقول روبن بلاكبيرن: "إن إحدى السمات الحاسمة لرأسمالية مالكي العبيد هي أن المُزارع كان لديه ضمانات – عبيده – لتمويل التحسينات... وقد أتاح النظام المالي الأمريكي المتطور نسبيًا إجراء الاستثمارات بسرعة وفعالية... وقد شجع الائتمان التخصص في المحاصيل داخل الجنوب [في الولايات المتحدة الأمريكية]، بالإضافة إلى فتح مناطق جديدة والتحوّل من التبغ والأرز إلى القطن والسكر والقمح. لقد صار امتلاك العبيد مصدرًا للضمانات، وكان العبيد أنفسهم – بكل معنى الكلمة – أصولًا متنقلة تلعب دورها المرهق في رأسمالية مالكي العبيد." (ص 168).

العبودية والتصنيع

كان نظام الإنتاج القائم على العبيد الذي مارسته بريطانيا وفرنسا وهولندا في وقت سابق في منطقة البحر الكاريبي، يتم على نطاق أصغر بكثير مع القليل من الميكنة. في حين أن العبودية الثانية تركزت على مزارع القطن الصناعية industrial cotton والسكر والقهوة واسعة النطاق التي تستخدم الآلات؛ وكان أشهر هذه الآلات محلاج القطن، لكن الميكنة امتدت أيضًا إلى مزارع السكر والبن الكوبية والبرازيلية. وبعيدًا عن جعل الحياة أسهل بالنسبة للعبيد، فقد كان ذلك يعني دفعهم إلى العمل بشكل أسرع ولفترة أطول، وبعبارة أخرى، زاد استغلالهم.

ويقتبس بلاكبيرن أرقامًا توضح أن المزارع الأمريكية زادت الإنتاج أربعة أضعاف بين عامي 1800 و1860 (صفحة 7). وكانت السكك الحديدية مهمة أيضًا، حيث ساعدت على فتح منطقة السهل المركزي لكوبا واختراق جبال البرازيل. ومع ذلك، كان مفتاح الإنتاج هو العبد، وللسيطرة عليه، كان المشرفون والمراقبون والعصابات

مراجعة كتاب

المسلحة، التي تشكلت للقبض على [العبيد] الهاربين، تدير نظامًا قائمًا على العنف الوحشي المنظم.

بين عامي 1810 و1820، ارتفع عدد العبيد في الولايات المتحدة من مليون إلى 1.5 مليون. وتم سَوق حوالي 800 ألف منهم، حرفيًا، من فيرجينيا وميريلاند وكارولينا إلى ساحل الخليج وحوض المسيسيبي – المعاقل الجديدة للولايات المالكة للعبيد (الصفحتان 50 و52). في عام 1820، كان ثلث سكان كوبا من العبيد، بينما بحلول عام 1850 كان لدى البرازيل 2.5 مليون عبد. (ص 60 و94).

كانت الولايات المتحدة أكبر مشتر للسكر الكوبي. فقد تم تصدير ما مقداره 49,000 طن إليها في عام 1841. و25,900 طن أخرى إلى إسبانيا، و16,200 طن إلى ألمانيا، و14,600 طن إلى فرنسا، و7,000 طن إلى بريطانيا. وبحلول ذلك الوقت، كانت كوبا تنتج خمس السكر في العالم، وكانت تصدر 106,100,000 طن سنويًا بين عامي 1832 و1836 (الصفحتان 71 و2).

كان المزارع الناجح يحتاج إلى عدة مئات من العبيد والحصول على الائتمان، الذي كان متاحًا من الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا والمكسيك. لكن البرازيل وإسبانيا اعتمدتا على استيراد الأفارقة المستعبدين، بينما في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة، أنشأ مالكو العبيد سوقًا داخلية عن طريق التوليد breeding. وواجه الملاك الكوبيين والبرازيليين المشاكل عندما أوقفت بريطانيا وفرنسا التجارة [تجارة العبيد] تمامًا وعندما بدأوا في استيطان الأراضي [في أفريقيا] التي تم أسر العبيد منها وشحنهم.

أصبحت الولايات المتحدة دولة مستقلة بعد انتصارها في الثورة الأمريكية، وكانت كوبا والبرازيل تتمتعان بالاستقلال النسبي؛ أصبحت الأخيرة مستقلة عن البرتغال في عام 1822، ولم تنفصل كوبا عن الحكم الاستعماري الإسباني إلا في عام 1898، لكنها وقعت تحت تبعية الولايات المتحدة.

في "أرض الأحرار"، أعلن بيان الاستقلال [الأمريكي] أن "جميع الرجال خلقوا متساوين"، لكن ذلك كان مخصصًا للرجال البيض، وهم عادةً أصحاب الأملاك، وليس السود وبالتأكيد ليسوا العبيد. لقد كان قادة الثورة الأمريكية الأولى مثل جورج واشنطن وتوماس جيفرسون من كبار مالكي العبيد، وتأكدوا من أن الحكومة الجديدة تضمن حقهم في امتلاك واستغلال البشر الآخرين. ومع ذلك، بفضل عبارة "جميع

مراجعة كتاب

الرجال خلقوا متساوين" في الدستور، أصبح من الضروري إنكار كون السود بشرًا على الإطلاق. وتمحور ذلك حول خلق وتعميق الأيديولوجية العنصرية.

لقد كانت العبودية هي المفتاح للانطلاقة الاقتصادية للولايات المتحدة في أوائل القرن التاسع عشر. فقد تم شراء الأرض (شراء لويزيانا)، مما أعطى الولايات المتحدة حوض المسيسيبي، كما غزت واستولت على (تكساس من المكسيك)، وتطهيرها عرقيًا من السكان الأصليين. وفي الحالتين الأوليتين، فتحت الولايات المتحدة أراض جديدة لمالكي العبيد، غالبًا على نطاق أوسع، مما ساهم بشكل مهم في الثروة الوطنية.

المقاومة والإلغاء

كانت العبودية، بالطبع، قائمة على العنصرية المنهجية التي تغلغلت في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تزال كذلك. وهذا ينطبق على البرازيل أيضًا. وفي كوبا، كسب السود من ثورة 1959 أمورًا أساسية مثل طول العمر. وقبل أن يظن أحد أنني بريطاني منافق، فأنا أدرك تمام الإدراك أن بريطانيا ألغت تجارة الرقيق في عام 1807، ولكنها لم تلغي العبودية حتى عام 1833. وقد أشار إريك ويليامز، المؤرخ الترينيدادي العظيم والزعيم القومي، بكل سخرية، إلى كم كان الأمر غريباً أن يحدث ذلك إذ أنشأت بريطانيا نظام العبودية الأكبر والأكثر ربحية في الأمريكتين من أجل الحصول على الرضا عن قمعه. وكانت صناعة القطن تعتمد على القطن الذي يزرعه العبيد، وكانت أساسية للثورة الصناعية في بريطانيا، وكانت مدينة لندن توفر التمويل، في حين كان التجار البريطانيون، حتى بعد إلغاء تجارة العبيد، يبيعون لمالكي العبيد أغلال وأشياء أخرى كثيرة.

ومع ذلك، فإن العبودية الثانية كانت موجودة في الظل؛ ثورة العبيد الكبرى في هايتي التي هزمت الفرنسيين والبريطانيين لإنشاء جمهورية مستقلة. لقد تمرد العبيد مرارًا وتكرارًا، على الرغم من الصعوبات التي ينطوي عليها الأمر. شهد التمرد الذي قاده نات تيرنر Nat Turner في مقاطعة ساوثامبتون بولاية فيرجينيا في أغسطس 1831 مقتل ما بين 55 و65 شخصًا أبيض، مما جعله أعنف ثورة للعبيد للبيض في تاريخ الولايات المتحدة. وفي أعمال القمع التي أعقبت ذلك، قتلت الميليشيات والغوغاء البيض ما يصل إلى 120 شخصًا من العبيد والأميركيين الأفارقة الأحرار انتقامًا منهم. وأعدم ستة وخمسين عبدًا، بما في ذلك تيرنر نفسه.

ثم كان هناك جون براون John Brown. كان أبيض البشرة، لكن الاستيلاء على هاربرز فيري Harpers Ferry في عام 1859 من قبل مجموعته من الناشطين

مراجعة كتاب

البيض والسود المطالبين بإلغاء العبودية كان يهدف إلى فتح طريق جديد شمالًا لسكة حديد تحت الأرض لنقل العبيد إلى الشمال للتمتع بالحرية. مرة أخرى، هُزمت المحاولة وشنق براون، لكن حركته أدى إلى تعميق الراديكالية المتنامية لإلغاء العبودية وأثارت المخاوف في الجنوب من تمرد العبيد.

ولعب السود المحررون، مثل فريدريك دوغلاس Frederick Douglass، دورًا رئيسيًا في تلك الحركة، كما فعل العبيد السابقون في كوبا والبرازيل. شكَّل بروز دعاة إلغاء العبودية من السود مثل دوغلاس تحديًا للعنصرية في الشمال، واتبع دعاة إلغاء العبودية الأكثر راديكالية خطاهم في المطالبة بأن يكون النضال ضد التحيز العنصري جزءًا لا يتجزأ من النضال ضد العبودية.

عندما اندلعت الحرب الأهلية بعد انفصال الكونفدرالية [في الجنوب]، ترددت الولايات الشمالية ولينكولن في تجنيد السود، لكن ماساتشوستس، مركز حركة إلغاء العبودية فعلت ذلك، وتميز فوج مشاة ماساتشوستس الرابع والخمسين، الذي تشكل في أوائل عام 1863 كوحدة عسكرية أفريقية-أمريكية ثانية، بمحاولته للاستيلاء على فورت واغنر في ميناء تشارلستون. قُتل أكثر من نصف أفراد الفوج، لكن المثال الذي قدموه فتح الباب أمام تجنيد السود، حيث انضم أكثر من 150 ألفًا إلى جيش الاتحاد والبحرية.

وانضم إلى مسيرة شيريدان عام 1864 إلى البحر Sheridan's 1864 March to the Sea، من أتلانتا إلى سافانا، والتي قسمت الكونفدرالية إلى قسمين، 350 ألف عبد. بحلول تلك المرحلة، لم يكن العبيد يتجهون شمالًا فحسب، بل كانوا يقومون فعليًا بالإضراب أو "العمل ببطء"، مقوضين بذلك اقتصاد المزارع.

تمركزت الثورة الكوبية، التي بدأت عام 1868 كمحاولة للاستقلال، في غرب الجزيرة حيث كان هناك عدد أقل من العبيد ولكن العديد من السود والمختلطي الأعراق انضموا إليها بأعداد كبيرة. في المقابل، احتشد ملاك المزارع في الغرب لمساندة مدريد وأنشأوا وحداتهم العسكرية الخاصة. استمرت الحرب حتى عام 1878 عندما وافق المتمردون على اتفاق سلام وألقوا أسلحتهم. تم تحرير العبيد السابقين الذين قاتلوا من أجل إسبانيا بموجب شروطها، لكن هذا خلق موقفًا لا يمكن الدفاع عنه. وجاء التحرير الكامل بعد عامين فقط.

إن بلاكبيرن يعرض كل هذا بشكل ممتاز ويشير إلى ثقافة المتمردين في غرب الجزيرة والتي تمكن فيدل كاسترو من استغلالها بنجاح لاحقًا. إن روايته لحركة إلغاء

مراجعة كتاب

العبودية جيدة جدًا أيضًا، حيث يبين كيف صارت الحركة أكثر راديكالية، وأيضًا كيف تولى النساء دورًا قياديًا وأثرن قضاياهن الخاصة المتعلقة بالمساواة والاقتراع.

الحرب الأهلية الأمريكية

إن تركيزه على هذين الأمرين مهم. فقد كانت الحرب الأهلية الأمريكية ثورة من الأعلى، مثل توحيد ألمانيا وإيطاليا، ولكن كانت هناك أيضًا حركات هائلة من الأسفل:

> ... لقد تضمنت الحرب الأهلية وإعادة الإعمار تعبئة سياسية واسعة النطاق للقوى الطبقية وهذا وحده هو الذي حافظ على السلطة المركزية في صنع تدخلاتها الثورية. (ص 371).

كان لينكولن نفسه متردداً في تحرير العبيد، ولكن خلال الحرب، كان مدفوعًا بالراديكالية الأوسع في معظم أنحاء الشمال. يقتبس بلاكبيرن ما كتبه ماركس عن لينكولن والتحرير:

> لم يغامر الرئيس لينكولن أبدًا باتخاذ خطوة إلى الأمام قبل أن تتهيأ الظروف ونداء الرأي العام الذي يحول دون المزيد من التأخير. ولكن بمجرد أن يقنع "إيب العجوز" "old Abe" نفسه بأنه قد تم الوصول إلى نقطة التحول هذه، فإنه يفاجئ الصديق والعدو على حد سواء بعملية مفاجئة يتم تنفيذها دون ضجيج قدر الإمكان. (ص 315).

كان الشمال في هذه المرحلة ملتزمًا بالحرب الشاملة. ولسوء الحظ، كما يشير بلاكبيرن، فإن هزيمة الكونفدرالية لم تضع حداً للعنصرية البيضاء. بعد استسلام الكونفدرالية مباشرة تقريبًا، تآمرت النخبة المالكة للعبيد السابقة وناورت للحفاظ على ثرواتها وسلطتها.

وفي مواجهة الشمال المنتصر الذي منح السود حق التصويت، قاموا بتزوير الانتخابات، وأصدروا قوانين تضع عقبات أمام القدرة على التصويت، مثل اختبارات معرفة القراءة والكتابة، واستخدموا الإرهاب المكشوف، كما بانَ في أعمال كو كلوكس كلان Ku Klux Klan. وتم إنشاء نظام فصل عنصري متقن، عرف باسم جيم كرو Jim Crow. ورغم أن حركة الحقوق المدنية الجماهيرية أطاحت بهذه السياسات في أواخر الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، إلا أنها تركت إرثًا لا يزال يميز الولايات المتحدة.

أعتقد أن ما يقدمه الكتاب هو رفض وجهة النظر الميكانيكية القائلة بأن نمو الرأسمالية الصناعية في الشمال يقوض العبودية تلقائيًا وأن البرجوازية الشمالية كانت عازمة

مراجعة كتاب

على القضاء عليها لضمان وجود نظام "العمل الحر" في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية. ويصدق هذا جزئيًا على مسألة ما إذا كان من الممكن توسيع نطاق العبودية إلى الغرب وإلى تلك الأراضي التي تم تطهيرها من السكان الأصليين. لقد أراد الرأسماليون الشماليون السيطرة على هذه الأمور، لذلك، على سبيل المثل، كان من الممكن تربية الماشية لمجازر شيكاغو.

ومع ذلك، بشكل عام، كانت البرجوازية الشمالية متناقضة [في مواقفها]، وكان إلغاء العبودية مصدر خوف من شأنه أن يزعزع استقرار الأوضاع. وكانت هناك استثناءات مهمة، كما لاحظ بلاكبيرن. لقد كانت حركة إلغاء العبودية من خَلْق طبقة وسطى رافضة non-conformist، وحصلت على دعم الكثير من الطبقة العاملة — وكانت مدينة نيويورك استثناءً. ولم يكن هناك ما يضمن الإلغاء. لقد تم فرضه على لينكولن باعتباره الطريقة الوحيدة لضمان النصر.

إن كتاب **تصفية الحساب** هو تاريخ جيد فهو يغطي مساحة كبيرة وقد وسَّع معرفتي بكوبا والبرازيل بشكل كبير. إنه يعيد الحياة إلى الشخصيات الرئيسية المعنية، وفي شرح اقتصاديات العبودية الثانية، ولا يسمح لنا أبدًا بنسيان الوحشية التي تكمن وراءها. لقد شدّني طوال وقت قراءتي له.■

ملحوظة للمراجع: لقد استخدمت مصطلح السود بدلا من الأمريكيين من أصل أفريقي، على سبيل المثل، لأنهم قبل إلغاء العبودية لم يكونوا مواطنين أمريكيين، وظلوا بعيدين عن المواطنة الكاملة لعدة عقود.

(*) روبن بلاكبيرن، (من مواليد 1940)، مؤرخ بريطاني، ومحرر سابق لمجلة اليسار الجديد (1983-1999)، وأستاذ فخري في قسم علم الاجتماع في جامعة إسيكس، انجلترا.
Robin Blackburn (born 1940) is a British historian, a former editor of New Left Review (1983-1999), and emeritus professor in the department of sociology at Essex University.

(**) كريس بامبري، كاتب وناشط سياسي. مؤلف كتاب تاريخ شعب اسكتلندا والحرب العالمية الثانية: تحليل ماركسي
Chris Bambery is an author, political activist and commentator, and a supporter of Rise, the radical left wing coalition in Scotland. His books include *A People's History of Scotland* and *The Second World War: A Marxist Analysis*.

مراجعة كتاب

(***) مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

نشرت مراجعة كريس بامبري أصلاً في مجلة كاونتر فاير Counterfire بتاريخ 4 نيسان/أبريل
Originally published: Counterfire on April 4, 2024 by Chris Bambery - 2024

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على الرابط التالي:
https://mronline.org/2024/04/06/the-reckoning-from-the-second-slavery-to-abolition-1776-1888-book-review/

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
27 نيسان 2024
http://iraqieconomists.net/ar/